اشهر شعراء الاندلس

أشهر الشعراء ابن حزم الأندلسي (١٥٦هـ – ٣٨٤ هـ)

حياته: أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم لقب بالقرطبي وبالظاهري نسبه الى مولده في قرطبة ومذهبه الظاهري فقيه الاندلس وصاحب التصانيف في الأدب والجدل والفقه والأحكام، اذ بلغت مؤلفاته نحو اربعمائة مصنف ورسالة .

ولد من أسرة عريقة ولم يكن وحيداً من نبوغه, فقد عرف ابن عمه ابو المغيرة عبد الوهاب بالشعر والأدب ، وكان ابوه احمد وزيراً للمنصور بن أبي عامر وكذلك لابنه المظفر، وهو لا يختلف في هذا عن معاصره ابن شهيد.

نشأ نشأة مترفة في ظلال القصور، وشارك في الاستماع إلى مواعظ العلماء واحاديثهم في مجلس أبيه، وهو في الخامسة من عمره، وقد عهد الى النساء بتربيته وتحفيظه القرآن ورواية الشعر على ايديهن، اذ غلبت عليه رقة في شبابه، وحياء وخجل في مجالس الرجال، وسوء ظن بالمرأة لأنه شاهد من أسرار النساء ما لا يكاد يعلمه غيره, وتجاوز الأمر إلى علاقات عاطفية مبكرة، فكان كتابه (طوق الحمامة) معرضاً لتلك التجارب العاطفية.

وقد اثرت فتنه قرطبة في نفسه، وقد ناله مانالت الاندلس من نكبات، حتى انتهت حياته السياسية إلى السجن الذي كان نقطة تحول في حياته، اذ انصرف إلى التأليف والتصنيف ومناظرة العلماء وأصحاب الأديان، وتكالب عليه الحساد فلم يستقر به مقام بين دول الطوائف حتى انتهى به الأمر الى (لبلة) موطنه فأدركته المنية سنة ٤٥٦هـ .

ثقافته وشاعريته

كان ابن حزم موسوعي الثقافة ملماً باكثر ميادين المعرفة ، فقد وصفه الحميدي بأنه (كان متفننا في علوم جمة ذا فضائل حمة وتواليف كثيرة في كل ما تحقق به من العلوم) ، وقد أوقف المحدثون دراسات كثيرة عليه, فتناوله الباحثون فقيها ومحدثاً ومؤرخاً ولغويا وواضع علم مقارنة الأديان فضلاً عن دراسته اديباً وشاعراً. ومن هذه دراسات ما كتبه الدكتور احمد هيكل والدكتور احسان عباس والدكتور الطاهر احمد مكيوغيرهم، واول ما يتبادر إلى الأذهان ديوانه الشعري

الذي لم يصل الينا واقدم من عليَّ بديوانه أبو عبد الله الحميدي (٤٨٨ هـ) وقد اشاره في ترجمته إلى ديوانه ونوه بغزارة شعره وأنه جمعه على حروف المعجم وما بين ايدينا من اشعاره يتيح لنا أن نكون فكرة عامة عن شاعريته وأكثر شعره، قد ورد في مؤلفاته و لا سيما كتابه (طوق الحمامة) وصف شاعريته الحميدي بقوله: (وكان له في الآداب والشعر نفس واسع وباع طويل، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه) وفي شهادته دلالة واضحة على عدم اكتراثه بما ينظم من الشعر دون روية وأناة لذلك جاء الشعر عنده ثانوياً، ولكن ذلك لم يمنع اصحابه من طلبهم منه أن ينظم في تجارب حبهم لعدم استطاعتهم ذلك ، ومما يعنينا في تعرف مذهبه الفني في الشعر اراؤه النقدية، اذ نظر إلى الأدب بشكل عام نظرة دينية ، وفصل رأيه في الشعر فجعله على ثلاث مراتب مرتبة يراه حراما ، وأخرى ليست بحرام ولكنه لا يحبذه، وثالثة يحبذها ويحظ عليها ، وتأتي نظرته النقدية في رسالة أخرى ، اذ يصنف الشعر الردىء في اربعة ضروب ويحذر منها وهي : شعر الاغزال والترقيق وشعر التصعلك والحروب، وشعر التعرية ووصف المفاوز والبيد، وشعر الهجاء وهي اشعار تدعو الى الفتنة وتسهل على المرء موارد التلف وانتهاك الحرمات. وكذلك يشير إلى صنفين آخرين يجدهما من المستحيل المكروه هما: المدح والرثاء لأن فيهما كذب فضائل الممدوح الحي والميت ولأن أكثر مافيهما كتب ولا خير في الكذب .

ابرز موضوعاته الشعرية

١-الشعر الغزل والنسيب: وهو أكثر الموضوعات التي تعرض لها الشاعر ، واشعاره تمثل مرحلة الشباب ، ويتميز بعمق التجربة الشعورية مع عفة ترتفع به عن الفحش والمجون. ففي كتابه (طرق الحمامة) ما ينبيء عن تجارب أخبرنا عنها دون أن يجد في ذلك حرجاً ، وجعل في كتابه بأبين في فصل التعفف، وقبح المعصية ومن ابياته التي نظمها في جارية اسمها (نعم) :

يعيبونها عندي بشقرة لــونها فقلت لهم هذا الذي زانها عندي

يعيبون لون النور والتبر ضلة لرأي جهول في الغواية مـمتد

وتعرب ابيات عن مذهب الاندلسيين في تفصيل الشقرة على باقي الالوان ومن ابياته التي تكشف لنا عمق حياته العاطفية

وددت بأن القلب شق بمدية وادخلت فيه ثم أطبق في صدري

فاصبحت فيه لا تحلين غيره إلى مقتضى يوم القيامة والحشر

تعيشين فيه ما حييت فان امت سكنت شغاف القلب في ظلم القبر

وفي هذه الأبيات وأمثالها ما يتنافى ورأيه النقدي في شعر الغزل فهل كانت هذه الاراء في أواخر حياته. ولكننا نجده يعتذر في موضع من الطوق وينفي ان تكون اشعاره بسبب معناة وانما قالها على سبيل المحاكاة على مذهب المتحلين بقول الشعر ولا شك اننا لا نستطيع ان ندرس شعر الغزل عند ابن حزم بمعزل عن كتابه (طوق الحمامة) فهو يعكس مزجا فريدا بين فقيه يفكر بعقله ويكتب بقلبه ، يتمسك بمفاهيم الشريعة الاسلامية وهو يكتب عن النزعة العاطفية، ولذلك يكون الحب هو القضية فان (طوق الحمامة) هو الكتاب المفضل لدى الدارسين.

٢-الفخروالرد على المنافسين : وهو يمثله في مرحلة متقدمة من عمره بعد أن اشتدت عليه وطاة خصومه ومنافسيه فاخذ يدافع عن مواقفه وارائه التي تحمس لها فيقول مخاطبا المعتضد بن عباد الذي أمر بحرق كتبه:

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضمنه القرطاس بل هو في صدري

يسير معي حيث استقلت ركائبي وينزل ان انزل يدفن في قبري

ويشير في بداية قصيدة إلى جوهر الخصومة التي انتهت به الى هذه الحال باتخاذه الظاهر مذهباً له، واعتماده قرآن والسنة في الاحتجاج

فقلت هل عيبهم لي غير أني لا اقول بالرأي اذ في رأيهم فتن

وانني مولع بالنص لست الى سواه انحو ولا في نصره اهن

لا انثني نحو اراء يقال بها في الدين بل حسبي اقرآن والسنن

٣-الشعر الإسلامي والفلسفي:

نجد هذا الاتجاه واضحا عند الشاعر وهو يبدو بصورته المتكاملة في قصيدتين ميميتين تنمان عن عاطفة دينية عنيفة وتشفان عن قيم خلقية رفيعة وكلتاهما من قصائده الطويلة وأولى القصيدتين أشار إلى أنها في اثبات حدوث العالم وصحة نبوة سيدنا محمد (ص) قال:

لك الحمد يارب والشكر تم لك الحمد ماباح بالشكر تم

لك الحمد في كل ما حالة فقد خصتني منك فضل وعم

بصدق النبوة والمبتدى لخلق الجميع ومنشي النعم

واما القصيدة الثانية ارتجلها ولم يلبث فيها حيث جاشت عاطفته عند سماعه قصيدته وصلت من (نقفور) ملك الروم نظمها كاتب مرتد وارسلها إلى الخليفة العباسي (المطيع لله ثم وصلت إلى الأندلس وقرئت على (المعتد بالله) فاهتز ابن حزم لشعوره بالغيرة لمحارم الله سبحانه وتعالى فقال:

من المحتمي لله رب العوالم ودين رسول الله من آلهاشم

محمد الهادي الى الناس بتقى وبالرشد والاسلام افضل قادم

الى قائل بالافك جهلا وضلة عن النقفور المنتزي في الأعاجم

والقصيدة طويل وتنزع الى والفخر بالاسلام وبأس المسلمينومجدهم الزاخر وقوتهم في اضعاف الروم والخلاصة غلبت السهولة على ابن حزم واسلوبه لانه كان يميل إلى قول الشعر على البداهة والارتجال. كما انه تاثر بعلوم عصره ويفيض شعره بالعاطفة .